كلمة المترجم

لاحظت اهتماماً شديداً بكتاب عظيم وهو كتاب (فن الحرب) للكاتب العسكري الصيني القديم (سون تزو) (551-496 ق.م).

فقررت أن أقرأ عن هذا الكتاب وعن مؤلفه.

وبعد أيام قلائل كنت في غاية التحمس لترجمة هذا الكتاب الشهير إلى اللغة العربية لأسباب عديدة توصلت إليها بعد بحث استمر لعدة أيام، ومن تلك الأسباب أن الكتاب قيم فعلاً وينبغي أن يترجم إلى اللغة العربية ليستفيد أهلها بما جاء فيه، كما أن سوق الكتاب العربي يفتقر إلى ترجمات حديثة له.

ويعتبر كتاب (فن الحرب) الذي يعتقد أن مؤلفه قد وضعه عام 500 ق.م من أهم الكتب العسكرية التي لاقت نجاحاً على مستوى العالم. وقد ظل الكتاب حبيساً داخل حدود الصين لسنوات طوال، إلى أن ظهرت أولى النسط المترجمة منه وكانت باللغة اليابانية.

وبعد ذلك بسنوات عديدة ظهرت ترجمات عدة لهذا الكتاب وكانت إلى اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية. ومن تلك الترجمات الترجمة التي قام بها الإنجليزي (ليونيل جيلز) عام 1910م. وهي الترجمة التي نقلت عنها عند إعداد هذا الكتاب ، وقد وثقت فيها لعدة أسباب ، منها أن ليونيل كان يعمل في الصين ويجيد اللغة الصينية كما أن خبرته بالموضوعات العسكرية جيدة.

ويقال إن كثيرا من الأكاديميات العسكرية لا تزال تستفيد مما جاء عن مبادئ الحرب في كتاب (سون تزو) حتى الآن. كما حرص كثير من القادة العسكريين القدامى والمحدثين على تخصيص جزء كبير من أوقاتهم لدراسة كتاب (فن الحرب) والاستفادة منه.

وكتاب (فن الحرب) - وإن كان يبدو سيئ التنظيم - وعليه بعض المآخذ القليلة من حيث الالتزام بموضوع واحد في كل فصل إلا أنه يظل كتاباً مفيداً وغنياً. ومن أمثلة سوء تنظيم الكتاب ما يلي :

1- يبدو ترقيم فقرات فصول الكتاب غريباً في بعض الأحيان ، حيث يمكن أن يدمج المؤلف فقرتين مع بعضهما دون سبب واضح والمثال التالي من الفصل الأول يوضح ذلك:

5 و6- القانون الأخلاقي هو ما يدفع الناس لاتباع أوامر القائد العام غير عابئين بحياتهم ودون أي خوف.

2- عدم التزام الكتاب بطريقة ثابتة للترقيم الفرعي داخل الفقرة الواحدة فهو تارة يضع الترقيم الفرعي داخل رقم واحد فقط من أرقام الترقيم الرئيسي وتارة أخرى يضع ترقيماً رئيسياً أمام كل ترقيم فرعي فيرتبك القارئ (راجع الفقرة 4 من الفصل الأول وقارنها من حيث الترقيم مع الفقرات 6-10في الفصل الثاني عشر).

3- في قليل من الأحيان يجد القارئ نفسه أمام فقرة ما في أحد فصول الكتاب لكنها تنتمي من حيث الموضوع الذي تتناوله إلى فصل آخر من فصول نفس الكتاب.

لكنى أستطيع أن أبرئ الكاتب العسكري العظيم (سون تزو) من تلك

المآخذ لأسباب عديدة ، منها :

1- مضى على صدور هذا الكتاب ما يزيد على 2500 عام ونحن لا ندري ما يمكن أن يكون قد حدث عليه من تطفل أو تعديل أو تدخل وهو لا يزال بلغته الأم لعدة قرون. والمؤلف غير مسئول عن ذلك بالطبع. كما أننا لا نستطيع أن نجزم أنه لم يلحق بالكتاب أي تحريف أو نقل لبعض فقراته من موضع لآخر أو عبث بطريقة الترقيم طوال تلك السنين.

2- مر الكتاب بمراحل عديدة من الترجمة، وكثير من الترجمات المتوافرة عبر العالم منقولة عن لغات أخرى غير الصينية ومن أهمها اللغة الإنجليزية. ولا يخفى علينا أن المترجم قد يتدخل لتوضيح عبارة أو لإضافة تعليق. وقد تهمل بعض الترجمات الإشارة إلى أن ذلك تعليق أو تلميح ، فيعتبر كجزء من النص.

3- أفكار وكتابات (سون تزو) توحي بالدقة وحسن الترتيب مما يشير إلى أن ما لحق بالكتاب من بعض المآخذ على التنظيم والترقيم لم يكن صنع مؤلفه، بل ربما يكون بسبب أخطاء من نشروه بعد وفاته بعدة قرون.

على أنني وجدت أن علىَّ أن أتدخل بالتوضيح أو الشرح لبعض النقاط أو بالإشارة إلى مثل صيني قديم مستخدم في النص أو مقياس للمسافات أو للوزن كان يستخدم قديماً ، لذلك جعلت كل تعليقاتي في حواش سفلية في هذا الكتاب.

ومما يلفت النظر بشدة إلى كتاب (فن الحرب) هو احتفاء كثير من الناس به حتى الآن، وبعد مضي كل تلك القرون. ومجتمع الإنترنت على سبيل

المثال مليء بهؤلاء الذين يتحدثون عن الكتاب ويترجمونه ويفتخرون بدراسته ومناقشته. بل ويخصصون المنتديات للحديث عن الكتاب وعن مؤلفه ، كما أن هناك الكثير من المواقع التي خصصت للكتاب ولمؤلفه بمختلف لغات العالم.

وقد ذهب كثير ممن ناقشوا الكتاب على صفحات الإنترنت إلى الربط بين ما جاء فيه من مبادئ عسكرية وما حدث في الحروب عبر تاريخ العالم وخاصة الحربين العالميتين وحروب العرب مع الكيان الصهيوني بدءاً من حرب عام 1948م ونهاية بالحرب السادسة بين أبطال حزب الله في جنوب لبنان وإسرائيل. وقد قرأت كثيرا من التحليلات التي فسرت العديد من الانتصارات أو الهزائم التي وقعت طوال القرن الماضي من خلال ما جاء بكتاب (سون تزو) حتى أن بعضهم يرى أن كل الهزائم والإخفاقات العسكرية ما كانت لتحدث لو أن القادة العسكريين المسئولين عنها اتبعوا ما جاء في كتاب (فن الحرب).

ورغم تقديري الشديد لكل ما قرأت من تحليلات ولمن قام بكتابتها، إلا أنني أرى أن عملية الربط والتحليل هذه من حق القادة العسكريين فقط، فهم أقدر على ذلك بالطبع مما لو كان من يقوم بالتحليل صحفياً أو كاتباً أو أحد المثقفين من غير المتخصصين في النواحي العسكرية.

يشتمل كتاب (فن الحرب) على 13 فصلا ، يذكر فيها (سون تزو) الأفكار العسكرية التي اكتسبها طوال حياته. وقد أطلق على (فن الحرب) ألقاب كثيرة ، مثل: أول كتاب عسكري قديم في العالم، والكتاب المقدس للدراسات العسكرية، إلى غير ذلك من ألقاب. وقد استخدمت الأفكار النظرية الموجودة

في الكتاب في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها بصورة واسعة.

ويعتبر كتاب فن الحرب أشهر الكتب الصينية على الإطلاق، وعلى الرغم من أن الكتاب قد تم تأليفه قبل الميلاد، إلا أن المبادئ والأفكار التي ذكرت في الكتاب يتم تدريسها والاستفادة منها حتى الآن، ليس في المجال الحربي فحسب، وإنما في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتجارية بل وحتى في المباريات الرياضية !!

ويعد كتاب (فن الحرب) أحد أشهر الوثائق الرسمية التي تؤكد ريادة الصين في المجال العسكري. ويرى الصينيون أنفسهم أن هذا الكتاب أساس لا غنى عنه ليس فقط للعسكريين ولكن لرجال الأعمال كذلك الذين يطبقون نظرياته للفوز بالصفقات التجارية الضخمة والتي تعتبر بشكل ما أو بآخر ضربا من ضروب الحرب التي تحتاج للتخطيط والتكتيك من أجل التغلب على المنافسين. والكتاب لايزال يلقى رواجاً كبيراً حتى اليوم حيث يدرسه كل من يخطط للعمل مستقبلاً في الميادين العسكرية والسياسية والتجارية وغيرها.

وأخيراً وليس آخراً فإنني أرى أن كتاب (فن الحرب) قيم ومفيد للقارئ العربي، لذلك ترجمته إلى اللغة العربية وأصبح بين يديك الآن.

آمل أن ينال هذا الكتاب رضا القارئ العربي وأن يستفيد منه.

المترجم أكرم مؤمن

akram_momen@hotmail.com